

نقد وتعليق ...

على رواية

(١)

محرر

بفلم الاستاذ محمد علي كمال العربي

تقينا هذا المقال في الوقت الذي كنا نعد فيه نقدنا
على الرواية فاكثرتنا بذلك في الوقت الحاضر

التحرير

— © —

عندما بدأت انظر الصفحات الاولى من هذه الرواية عرضت
لحياتي صور وافكار متتابعة تعترض تأملاتي تارة وتطفر بها
اخرى مما اضطرني الى الاعادة فيما نظرت .

كنت معيدا متممقا في تفكيره فاحاطتني سحب من الاحلام
البيض والوساوس السوداء ما طار بي الى عالم الخيال وكنتي
من رواد خيالة هوليوود مسعرا في كرسي علي شاطي دجلة
الاقيح مستهويا لسيطانها الذي ملك علي سمي وبصري
وشعوري ولا سيما ان شيطان الرواية كان صادقا في وجبه
بخليصا في الهامه او ان شيطان الشاعر كان ذا اسلوب محبوبك
طلي جذاب ولذلك لا غرابة لو وجدتني ماخوذا بخفة روح
هذا الشيطان ولطف نفسه منقادا بنعمته يده متماميا عن تلك
العمة الكبيرة والاحية الكثة والبرزة المدثرة لهذا الشيخ
الصغير باسمه الكبير بادبه وشعره وظرفه . وليس من حرج
في ذكر شيطان الشاعر بعد ما تشكل صاحبنا في روايته
بمختلف الاشكال : شاعرا وفيلسوفاً وآلهة وطبيباً ومحاججياً
وهو لم يزل ذلك الشيخ علي الصغير بملامحته وصمدانيته .
١ - اخال ان شيطانه يستوقفك ممي عندما نطالع وصفه
الليل في ص ٩ حيث قال :

(١) للاستاذ الشيخ علي الصغير طبعته في مطبعة دار النشر

والنايف في النجف الاشرف سنة ١٩٤٨

وكان الانق الجليل غريق ومن النجم شد بالامراس
وكن الهلال زورق نرر وعلى شاطي المجزة راسي
منظر يبهر العقول وانق زاهر بالسروير والابتناس
تري وجوه الشبه بين صفرة الانق والغريق وضائتها من
جهة وبين عظمة الليل والبحر وحلوكتها من جهة اخرى
- تري ان وجوه الشبه بينها واضحة كل الوضوح ولا سيما
بعدما تملق الغريق بخيوط الكواكب .

وربما استوفنا هذا الشيطان في ص ٣٦ بقوله :

هذا الليل فيك فالكون غاف وحديث الهمار اذ ذاك همس
فانت لا ترى مبالغة في وصف هدوء الليل أشد من هذه
الغفوة غفوة هذا الكون العظيم واعظم من هذا الهمس الذي
انتجا اليه الهمار بتأثير طبيعة الهدوء .

وقد وفق الشاعر بوصف الزورق والبحيرة في ص ٢٥ قال :

ايها الزورق رعييا واستمع وحي الشوق
قل لا مواجك اما رشفت كأس الرحيق
قد صحا الكون فمن عريضة السكر افريقي
انت في عافيه والقوم في سكر عميق
لقد ابداع بصيغة الزورق للأمواج الشملة ان تفبق من
العريضة قدوة لسحو الكون . غير ان الشاعر لم يوفق بوصف
القوم بالسكر وكان الاولى ان يصفهم بالصمت كي لا يقي
بحال لاستمرار الامواج في الاضطراب .

وقد وفق أيضا في ص ٢٦ بقوله :

ما احيل البحر والزورق يجري في اماله
هادئا كاطفل لا يحلم في غير الاماني
هـا هنا الاحلام والموج به معتقنان

لقد ابداع الشاعر بتشبيه راكب الزورق بالطفل الهادي
بهدوء الطفل في المهد بحيث لا تبعث منه غير الاماني البيض
ويحق للشاعر ان يعجب ببحر تتماثل فيه الامواج والاحلام .
ومن وصفياته الجميلة وصف الحبيب والاصيل في ص ٢١

قال :-

ورآها الاصيل فامر شرأ للقاء وقال ما اباها
خالها انها ابنة الانق لما غمر الكون بالشعاع سناها

فكساها من لونه الشفق الرائع فأحمر من حياً خداه
ودوى النحل حول مبسمها المد

ب فقطت بالجنار الشفاها
طائر الحسن ثغرها فسقاها فبى سكرى لكن بخبر لاها
ترى الشاعر ألبس هذه الايات ثوباً زاهياً من حمرة الشفق
وجلاها عروساً مزينة بأحسن انواع الزينة واجل اساليبها
وانتقى لها كلمات موسيقية مثل قوله : ما ابهاها . وقوله : من
حياً . وفي البيت الاخير كلمة : لكن .

٢ - نستعرض الآن بإصاحي فلسفة الشاعر على لسان
« فيليس » إلهة الجمال قال :

من جمالي اكتسى الوجود جمالا فانا مصدر الجمال الذاتي
تأمل دقائق الحسن في الكون ن تجده ازدهى بحسن صفاتي
انا في الانق . بدرة ورائي زهرة في الجمال المطرات
ما اديسم الحقول الا اديمي ونبات الربيع الا نباتي
انا قيثارة المثني اذا ما حركت منه كاسن الزفرات
يحق لالهة الجمال الفخر بانها مصدره وانه مظهر تجلياتها
اما وصف الجمال بانه ذاتي غير عرضي فهو من نظريات الشاعر
اللاهوتية يخالفه الفلاسفة الذين يرون ان الجمال من الصفات
الاضافية فقد يكون الشيء جميلا في نظر شخص قبيحاً في نظر
غيره وقد يكون البياض جميلا في نظر جماعة في حين ان آخرين
يفضلون السمرة عليه وهكذا الامر في كل الاشياء الطبيعية
والاصطناعية .

واليك رأي الشاعر في فلسفة الحب فقد اجاب فيلسوفه عن
سؤال مارية في ص ٤٤ قائلا :

فكم فكرت في الحب لكي اعرف تصويره
حققت بان الحب ذاتي وانا صورة

يظهر من وصفه للحب بذاتيته وان جسمه هو الصورة
يظهر انه ينحو منحى اهل العرفان بنظرية الذات الحقيقية تلك
النظرية المستمدة اجمالا من المثالية الافلاطونية . ومنها استمد
(هيكل) على ما يظهر نظريته بان سمي تلك الذات بالمطلق هذا
ما يوحيه شيطان الشاعر في قوله بان الحب ذاتي وانا صورة
غير اننا لا نطمئن نفسنا الى هذا الوحي مرجحين انها كلمة

جاءت عفوا على لسانه وان تعريف الحب لديه هو الذي جاء على
لسان شاعره في ص ٥٤ حيث قال :

ايس الهوى غير نظره في القلب تمقب حسره
وقطرة من معين تعود بالهجر جهره
يهد شم الرواسي وانما هو ذره
فيكون الحب بموجب نظريته هو قطرة كما زعم ذلك جماعة من
المشاق .

٣ - لقد اتينا على تقرير الرواية وآن لنا مناقشتها من
النواحي الفنية :

« أ » يظهر من تسبق الرواية ورفع الستار وانزاله ان
الشاعر ارادها تمثيلية في حين ان وسيلة التحدث والوصف
والتمثيل الانفرادية لا تتفق مع التمثيل او الحوار التمثيلي وان
هذه الوسيلة أمس صلة بالقصص والروايات الخيالية ومع ذلك
رأينا الشاعر تمسك بها في معظم فصول روايته ما عدا ايات
في الفصل الخامس .

« ب » ان الشاعر لم يراع الناحية العملية في عرض مناظر
الفصل الاول « الطبيعية » فقد عرض اجمل مناظرها وما
يحدث فيها عادة في الليل ولكنه خلل بين تلك المناظر منظراً
آخر يناقض الليل وهو منظر الشروق الامر الذي لا يتفق
والتمثيل العملي . ولو انه وضع منظر الشروق في آخر الفصل
لانسقت الرواية . والى الفأري بعض الايات التي وصف فيها
الشروق في ص ١١ :

لك من هذه الطبيعة بيت لم يزل في غنى عن الحراس
تشرق الشمس في الصباح عليه ثم تكسوه روعة في الاماسي
لك من آية النهار شعاع فيها يرجى الشفاء بعد اليباس
انت كالنبت بالاشعة تنمو فانتبسها للخير خير اقتباس
والى الفأري بعض الايات التي وصف فيها الليل قبل في
ص ٩ في وصف الطبيعة :

لك منها في الليل انق ببي بسناه تنقي عن النبراس
زبنته بالرائعات من الحس ن افتنانا من سائر الاجناس
وقال في ص ١٥ :

السماء الزرقاء والقمر الشر ق فيها يشق جيب الظلام
والنجوم التي تنائر فيها كالألي فوق العباب الطامي

وقال في ص ٢٠ :

سرها ان ترى الحلال اخاها فاستفزت احلامها ورؤاها
قابله فهاهم فيها اشتياقا فاحنى نحوها تقبل فها

(ج) لم نجد في الفصل الثالث ذكرا لها في وصف الوادي
فكان الاولى به ان يمتون الفصل به الغرام فان البحث كان
مقصورا عليه . واغرب ما وجدنا في هذا الفصل ان وسائل
الغرام التي استخدمها الشاعر كانت ابحاثا فلسفية مجردة مملوكة
في فلسفة الحب وكان الاولى لهذه الابحاث ان تبعد الشاعر
ومرجزيت عن الحب والغرام لا ان تبتث في نفسها وتشير
هو اطف الغرام . واليك ايها القارى بعض مقتطفاته في ذلك
فقد جاء في ص ٤٢ :

أفلل زهرا يا الفيلسوف الشيخ روح والورود قلوب ؟
وله في الوجود كائنات عشق وله في الحياة ثم حبيب
وقال في ص ٤٣ :

يا فتاتي سمعا فلل زهر روح هو من جنسه فقيم الملام
هو معنى النمو فيها ولو لا الروح لم تم هذه الاجسام
الخصي ذرة الوجود ففيها ائتلاف هو الهوى والغرام
ويقول على لسان الشاعر في ص ٤٥ :

رب قلب هادي بات من الحب خليا
حذر الحب لئلا يقتدي فيه شقيا
ومنها :

هكذا عاش زمانا مظلم القلب دجيا
فاتي الفجر اليه حاملا عطرا شديا
ومنها :

ورأى الشمس لدى العصر شعا ذهيبا
من حلاها تلبس الاق ردا نرجسيا
فمضى يلتمس الحسن ندبا فدبا
وغدى يملكه حبا اذا ازدان جليا
ويقول على لسان مرجزيت في ص ٤٧ :

قد وصفت الحب وصف المـارفين
فلقد اوضحت بسر العاشقين
لاح في مقلتك السر الدفين
وعلى وجهك رمز النرمين

وعلى اثر مثل هذه المقطوعات وما تتضمنه من ابحاث فلسفية
واعتيادية يمان المؤلف غرامه على لسان الشاعر فيقول في
ص ٤٨ :

دعيني واشماري وحبي واسقامي تحبي اني نيك وتلت انقامي
ومن طرفك الفتاك مني حشاشه وما خطا المرى غدا رمى الراعي
ومنها في ص ٤٩ :

سلي ليلة البحر الرهيبة اذ طاب بها الموج عن قلبي وعن حبه الطامي
وفي الزورق المسحور والفجر ضاحك

تلفر ضحك منك بالبشر بسام
فانت التي اوحيت لي الشعر والهوى واترعت لي كاس الهوى وانا ضامي
وتحمن لو ناقشنا تلك المقطوعات لا وجدنا فيها ما يوجب هذا
الحب الصارخ في هذه الاغاني الشعرية والانغام المرتلة في
ذلك الزورق المسحور وذلك انشغاف البسام . ولعمري لقد
صدق في قوله : « وانا ضامي » . غير اننا نرى انه لا يزال
ضاميا لم يرتشف معين الحب .

اعود الى مناقشة الرواية من ناحيتي الله ورسم الخط نقدجا
في ص ٥٠ « زاك الغام » والصواب : زاكي وفي ص ٦٩ كلمة
البؤسا . بمعنى المعوزين والصواب : البائسين . وفي ص ٧١ :
في شأن . والصواب : بشأن . وفي ص ٩٣ سلام ووداع .
والصواب : سلاما ووداعا . وفي ص ٩٤ : فاضني للنجوى .
والصواب : اصغ .

ومن اغلاط رسم الخط في ص ٨ ملؤها . والصواب ملأها
وفي ص ١٤ . ملؤه ، والصواب ملئه . وفي ص ١٧ وليمتلا
والصواب وليمتلي . وفي ص ٨٦ واقرأ . والصواب واقرئ
وفي ص ٩٠ ارسل . والصواب ارسل . وفي ص ٩٧
فستسموا . والصواب فستسمو . وايضا دعى . والصواب دعا
لقد اطلنا على القارى حديثنا في نقد الرواية وتقريضها
وهذا دليل اهتمامنا واعجابنا بها فلم نرم من تسجيله غير خدمة
الادب والاعتراف بفضل الشاعر . واخيرا نرجو له ولروايته
النجاح والتوفيق .

محمد علي كمال الدين

بغداد